مشروعية المديح النبوي

أ.م.د. بكري الناير محمد الزين
كلية الآداب/ جامعة سنار/ السودان

Legitimacy of the prophet poise

Ass.Prof.Dr. Bakry ELnaier Mhomed
Faculty of Arts\ University of Sinnar\ Sudan
alnaer10000@gmail.com

Abstract:

The prophet praise is the podry that praised the poophel Mohamed peace be upon lim, through centuries of times. In which ports produce the podry mentioned its, virtues, characteristic and onerits distinguished by Allah – they also followed the almighdy Allah, praise of the prophet in ttuholly AL-quran. The study discussed the authoritarian rule in thisespect, while highlighting examples of the prophet praise through the various stages of Islanic call " Daawa" from the first beginning of the prophets birth and the ages that followed this era. the study described and analyzed the characteristics of the prophet praise poetry in the durativeanalytical port.The study concluded in numerous results and recommendations mast of theme, " the legitimacy of prophet praise was mentioned in the holly Quran and " Hadith, sunah " as cited in Surat AL-qalam (4) which means " you " the prophet" hove agreat and perfect creation " KlhileKaab Ibn zuhair " Allah blessicd him " preised the prophet then the prophet geve him the honorable " Burda" the prophet praise characterized in honesity and nobility feelings because it stem ent from the love of the progohet peacebe upen him which is an essential eludy of mlislinl as cited in Surat AL-imrem 31 " if you love ALLah, Follow me May Allah love you and forgive ynurSins. ALLah is forgiving and merciful.

Keywords: Shamaya Muhammadiyah, Prophet's love, legitimacy of praise Prophet.

الملخص

المديح النبوي هو الشعر الذي مدح به سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم عبر الأزمان والحقب، أفاض فيه الشعراء والمادحون في ذ كر مناقبه وصفاته وشمائله التي حباه الله تعالى بها، مستهدين بمدح الله عز وجل له في القرءان الكريم. تناولت هذه الورقة الحكم التكليفي في هذا الجانب مع إبراز نماذج من شعر المديح النبوي عبر مسيرة الدعوة الإسلامية من بداية إرهاصات مولد النبي صلى الله عليه وسلم مرورا بالحقب المختلفة، اتبعت الدراسة المنهج التاريخي في الحديث عن بدايات المديح النبوي منذ العهد الأول للإسلام وبزوغ فجر الدعوة الإسلامية والعصور التي تلت ذلك العصر، أما الجانب الوصفي التحليلي فقد لجأت إليه الدراسة لوصف وتحليل خصائص شعر المديح النبوي، وخلصت الورقة إلى عدة توصيات ونتائج من أهمها. مشروعية المديح النبوي ثابتة بالكتاب والسنة قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) سورة القلم(4)﴾. وقد مدح كعب بن زهير رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدته (بانت سعاد) فأثابه على مدحه ببردته الشريفة صلى الله عليه وسلم. المديح النبوي تميز بصدق المشاعر، ونبل الأحاسيس؛ لأنه نابع من محبة النبي صلى الله عليه وسلم، والتي هي من حب الله تعالى جل جلاله، ومن أوجب واجبات المسلم، وذلك بإتباع سنته وهديه امتثالاً لقوله تعالى: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }آل عمران31.

الكلمات المفتاحية: الشمائل المحمدية، الحب النبوي، مشروعية المديح النبوي.

أهمية الدراسة:

1/ التعريف بشعر المديح النبوي ومشروعيته.

2/ التعرف علي المضامين والمعاني التي احتواها شعر المديح النبوي.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة للأتي:

1/ الوقوف علي الحكم التكليفي لشعر المديح النبوي من منظور فقهي.

2/ الوقوف علي مشروعية المديح النبوي وإبراز نماذج منه عبر العصور المختلفة.

3/ الوقوف علي الشمائل المحمدية والتمعن في مفرداتها والتمثل والاقتداء بها، لأن النبي صلى الله عليه وسلم هو قدوتنا ومثلنا الأعلى.

منهج الدراسة:

اتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي، في الحديث عن وصف النبي صلى الله عليه وسلم، وعن دوره في إظهار صفات النبي وتعداد مناقبه وشمائله.

مقدمة:

الحكم التكليفي لمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم:

مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم مستحب مستحسن مسنون، وهذا حكم فقهي لم يخالف فيه أحد من المسلمين. جاء في الموسوعة الفقهية "دأب العلماء على مدح النبي صلى الله عليه وسلم بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه الله به في الدارين من كرامته، قال القاضي عياض: لا خلاف أنه صلى الله عليه وسلم أكرم البشر وسيد ولد آدم وأفضل الناس منزلة عند الله وأعلاهم درجة وأقربهم زلفى، ثم ساق أحاديث فيما ورد من ذكر مكانته صلى الله عليه وسلم عند ربه والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد آدم وما خصه به في الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب، فروى عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم"[1].

المدائح النبوية من المنظور الفقهي أقسام ثلاثة:

القسم الأول:

"المديح المتفق على قبوله، الذي لا يخالف أحد فيه، ولا يشذ أحد في منازعته، وإنما هو مأخوذ من صحيح الأخبار وواضح الألفاظ وجلي الفهم. وهذا قسم كثير موفور.

القسم الثاني:

المديح المتفق على رده وإنكاره والزجر عنه، وهو ما خرج برسول الله عن حد العبودية لله، فأوصله إلى رتبة الإلوهية والفعل المطلق في الكون ونسبة حدوث الأشياء وأحداثها إليه حقيقة وصراحة. فهذا واضح في الكفر جلي في المنع. وهو قليل مردود بل يكون نادراً معدوماً لا وجود له.

وأكاد أجزم أنه لم يعرف عن أحد من مداح رسول الله صلى الله عليه وسلم المعروفين مثل ذلك فيما أعلم والله أعلم. فقد عصم الله نبيه من أن تضل أمته وتهوي إلى الشرك فيه أو بسببه.

القسم الثالث:

المديح المختلف فيه بين القبول والرد، والأخذ به والمنع عنه، وهذا راجع إلى مبالغات بعض المادحين، أو أخذهم ببعض ما ليس بقوي السند من الأخبار والآثار، أو فهمهم بعض النصوص على وجه محتمل لم يوافقهم غيرهم فيه. وهذا النوع من المديح هو

[1]- صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، الموسوعة الفقهية الكويتية، عدد الأجزاء: 45 جزءا، الطبعة: (من 1404 - 1427 هـ)، الأجزاء 1 - 23: ط2، دار السلاسل – الكويت، الأجزاء 24 - 38: ط1، مطابع دار الصفوة – مصر، ج36، ص276.

الذي يثير الجدل واللغط عند بعض المتشددين، ناسين أو متناسين أن المبالغة، واستعمالَ المجاز والتورية والكناية والاستعارة طبيعة في الشعراء، لم ينه عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستمع إليهم في مدحهم له"[1].

وتعود أشعار المديح النبوي إلى بداية الدعوة الإسلامية مع مقطوعة طلع البدر علينا وقصائد شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم أمثال: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحه، وكعب بن زهير. في لاميته المشهورة[2].

بانَتْ سُعادُ فَقَلْبي اليوم مَتْبولُ مُتَـيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مَكْبولُ

أُنْبِئْتُ أنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْعَدَني والعَفْوُ عَنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُولُ

وقَدْ أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ مُعْتَذِراً والعُذْرُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَقْبولُ

مَـهْلاً هَداكَ الذي أَعْطاكَ نافِلَةَ الْقُرْآنِ فيها مَواعيظٌ وتَفْصيلُ

لا تَأْخُذَنِّي بِأَقْوالِ الوُشاة ولَمْ أُذْنِبْ وقَدْ كَثُرَتْ فِيَّ الأقاويلُ

لَقَدْ أَقُـومُ مَقاماً لو يَقومُ بِـه أرَى وأَسْمَعُ ما لم يَسْمَعِ الفيلُ

لَظَلَّ يِرْعُدُ إلاَّ أنْ يكونَ لَهُ مِنَ الَّرسُـولِ بِـإِذْنِ اللهِ تَنْويلُ

وهي التي اشتهرت باسم «بانَت سُعاد» لكنها عُرفت أيضا باسم «البردة»؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم وهب كعبًا بردته حين مدحه بهذه القصيدة .وتعد من أشهر قصائد الشعر العربي حتى قيل "لا يكاد ناطق بالضاد لا يسمع بها".[3] وقد استحقت هذه القصيدة المدحية المباركة أن تسمى البردة النبوية؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كسا صحابها بردته المطهرة تكريماً لكعب بن زهير وتشجيعاً للشعر الإسلامي الملتزم الذي يدافع عن الحق وينصر الإسلام وينشر الدين الرباني.

تناول فضل المديح النبوي البروفيسور عبد الله الطيب في كتابه "المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها" وربط ذلك بحب النبي صلى الله عليه وسلم حيث جاء فيه: "جعل مكان المديح النبوي يقوى في النفوس متصلا بالعبادة مستقلا عن السياسة. ومما قواه أن أساسه ودعامته حب النبي صلى الله عليه وسلم، وأمر ذلك من أمر الكتاب والسنة قريب. قال تعالى:{قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }آل عمران31، والإتباع لا يصح بلا حب، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الطريق للمعرفة، والمعرفة لا تتم إلا بعون الله وتوفيقه، ورأس الحكمة مخافة الله، واتقوا الله ويعلمكم الله، ولا يعرف الإنسان نفسه إلا بالحكمة، فإذا عرفها أحبها الحب الذي يرضاه الله سبحانه وتعالى، فلم تستول عليه شهواتها فيصرفه هواها عن سبل الرشاد. وسبيل الرشاد السنة. ومن زعم أنه يتبع السنة وليس في قلبه حب الذي سنها فهو غير صحيح الإيمان. لأن الإتباع بلا محبة هواء. فنسأل الله الهداية إنه سميع قريب مجيب. ومما يشهد بأن أمر المديح النبوي قد قوى جداً وأن تعلق الناس به قد كان شديداً على زمان أبي العتاهية وأبي نواس مقال الجاحظ الذي أنكر به ما أنكر على الكميت بن زيد حيث قال (فأما مدح النبي صلى الله عليه وسلم فمن هذا الذي يسوءه)؟ ويذكر أن أبا الطيب سئل لما لم يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ليم في ذلك فاعتذر بأن قدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلى من أن يبلغه مدحه أو بشيء من هذا المعنى، وقد رأيت في أحد دواوين أبي الطيب بيتين له في مدحه صلى الله عليه وسلم أو الاعتذار عن ذلك وند عني موضعهما من بعد"[4].

القرءان الكريم تحدث عن الشعراء قال تعالى: وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ{224} أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ{225} وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ{226}الشعراء واستثنى منهم الشعراء المؤمنين الذين يعملون الصالحات قال تعالى: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ{227}الشعراء. جاء في تفسير ابن كثير

---

[1]- الشبكة الليبرالية الحّرة < الأقسام الأدبيّة والثقافية والاجتماعية < منتدى الرواق الأدبي < المدائح النبوية... في العصر الحديث...
https://libral.org/vb/archive/index.php/t-48617.html

2- الشحود (علي بن نايف) موسوعة الشعر الإسلامي، ج1، ص، 371.

3- مارون عبود، أدب العرب :مختصر تاريخ نشأته وتطوّره وسِيَر مشاهير رجاله وخطوط أولى من صورهم، ط3 بيروت، دار الثقافة، ١٩٧٩، ص 120.

4- أ.د عبدالله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ط2، الكويت بالتعاون مع دار الآثار الإسلامية 1989م -1409هـ، ج4، ص 45.

في تفسير هذه الآية الكريمة: معناه: ذكروا الله كثيرًا في كلامهم. وقيل: في شعرهم، وكلاهما صحيح مُكَفّر لما سبق. وقوله: {وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا} قال ابن عباس: يردون على الكفار الذين كانوا يهجون به المؤمنين. وكذا قال مجاهد، وقتادة، وغير واحد. وهذا كما ثبت في الصحيح: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان: "اهجهم –أو قال: هاجهم –وجبريل معك". وقال الأمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا مَعْمَر، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن أبيه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إن الله، عز وجل، قد أنزل في الشعّر ما أنزل، فقال: "إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده، لكأن ما ترمونهم به نَضْح النبْل". وقوله: {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ }، كما قال تعالى: { يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} [غافر:52] وفي الصحيح: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إياكم والظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة[1]". وقال قتادة بن دِعَامَة في قوله: { وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ } يعني: من الشعراء وغيرهم"[2].

جاء أيضا في تفسير القرطبي ما يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستمع للشعر ويثني على الجيد منه حيث قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول:" أصدق كلمة– أو أشعر كلمة– قالتها العرب قول لبيد:

ألا كل شي ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

كما روى زيد بن أسلم، خرج عمر ليلة يحرس فرأى مصباحا في بيت، وإذا عجوز تنفش صوفا وتقول:

على محمد صـلاة الأبرار صلـى عليه الطيبون الأخيار
قد كنت قواما بكا بالأسحار يا ليت شعري والمنايا أطوار
هل يجمعني وحبيبي الدار

يعني النبي صلى الله عليه وسلم، فجلس عمر يبكي. وكذلك ذكر أصحابه ومدحهم رضي الله عنهم، ولقد أحسن محمد بن سابق حيث قال[3]:

إني رضيت عليا للهدى علما كما رضيت عتيقا صاحب الغار
وقد رضيت أبا حفص وشيعته وما رضيت بقتل الشيخ في الدار
كل الصحابة عندي قدوة علم فهل علي بهذا القول مـن عار
إن كنت تعلم أني لا أحبـهم إلا من أجلك فأعتقني مـن النار

وقال آخر فأحسن[4]:

حب النبي رسول الله مفترض وحب أصحابه نور ببرهان
من كان يعلم أن الله خالقـه لا يرمين أبا بكر ببهـتان
ولا أبا حفص الفاروق صاحبه ولا الخليفة عثمان بن عفان
أما علـي فمشهور فضائلـه والبيت لا يستوي إلا بأركان

قال ابن العربي: أما الاستعارات في التشبيهات فمأذون فيها وإن استغرقت الحد وتجاوزت المعتاد، فبذلك يضرب الملك الموكل بالرؤيا المثل، وقد أنشد كعب بن زهير النبي صلى الله عليه وسلم:

بانت سـعاد فقلبـي اليوم متبول متـيم إثرها لـم يفد مكبـول
وما سـعاد غداة البيـن إذ رحلوا إلا أغن غضيض الطرف مكحول

1- رواه أبو داؤد، أحاديث عبدالله بن عمرو بن العاص، ج4، ص28، برقم(2386)
2- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي) تفسير القرآن العظيم، تح، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ - 1999م، ج6، ص176.
3- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، ص147.
4- نفسه، ص148.

تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت كـأنه منـهل بالراح معلـول

فجاء في هذه القصيدة من الاستعارات والتشبيهات بكل بديع، والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع ولا ينكر في تشبيهه ريقها بالراح. وأنشد أبو بكر رضي الله عنه:

فقدنا الوحي إذ وليـت عنا وودعنا مـن الله الكلام

سوى ما قد تركت لنا رهينا توارثه القراطيس الكرام

فقد أورثتنا مـيراث صدق عليك به التحية والسلام

فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمعه وأبو بكر ينشده، فهل للتقليد والاقتداء موضع أرفع من هذا. قال أبو عمر: ولا ينكر الحسن من الشعر أحد من أهل العلم ولا من أولي النهى، وليس أحد من كبار الصحابة وأهل العلم وموضع القدوة إلا وقد قال الشعر، أو تمثل به أو سمعه فرضيه ما كان حكمة أو مباحا، ولم يكن فيه فحش ولا خنا ولا لمسلم أذى، فإذا كان كذلك فهو والمنثور من القول سواء لا يحل سماعه ولا قوله[1].

وحقيقة اعتقاد المادحين، هو الفيصل في ذلك ومَنْ وصف الرسول صلى الله عليه وسلم أو أي شخص بما هو محضُ حقٍ لله تعالى مما لا يشاركه فيه أحد من خلقه مثل وصف النصارى عيسى بن مريم بالألوهية فذلكم هو الإطراء المزموم الذي يرفضه الشرع. أما مدحه صلى الله عليه وسلم بسني الخصال التي خصه الله بها فهو واجب ومطلوب لتثبيت أركان المحبة فى قلب المؤمن، وقد أجاد الإمام البوصيري حين قال[2]:

دع ما ادعته النصـارى في نبيهم وأحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

فأنسب إلى ذاته ما شئت من شرف وأنسب إلى قدره ما شئت من عظم

فإن فضل رســول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفــم

المدح وصف الممدوح بأخلاق يمدح عليها صاحبها، يكون نعتا حميدا، وهذا يصح من المولى في حق عبده، فقد قال الله تعالى في حق نبيه أيوب عليه الصلاة والسلام:{وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} ص44. وقال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ} القلم[4]، وقال الله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ *الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ }المؤمنون1-2 إلى آخر الآية، فعلى هذا يجوز مدح الإنسان بما فيه من الأخلاق الحميدة. وقد مدح أبو طالب والعباس وحسان وكعب وغيرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبلغنا أنه حثا في وجه مادح ترابا، وقد مدح هو صلى الله عليه وسلم المهاجرين والأنصار رضي الله عنه. وفي حثو التراب معنيان: أحدهما التغليظ في الرد عليه، والثاني كأنه يقال له: بكفّيك التراب. وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا مدح قال: اللهم أنت أعلم بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيرا مما يحسبون، واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون. ومدح سارية الديلي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سارية الذي أمره عمر رضي الله عنه على السرية، وناداه في خطبته بقوله: يا سارية الجبل، فمن مدحه في رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله[3]:

فما حملت من ناقة فوق ظهرها أبر وأوفى ذمة من محمد

ومن أمثلة ذلك أيضاً قول شاعر الرسول سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه[4]:

وأحسن منك لم تر قط عيني وأجمل منك لم تلد النساء

خلقت مبرأ من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشـاء

1- القرطبي، الجامع لأحكام القرءان، مرجع سابق، ص148.
2 - البردة شرحاً وإعراباً، محمد يحيى الحلو، دار البيروتي، ط31426هـ - 2005م، ص 226.
3- الأبشيهي (شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور) المستطرف في كل فن مستطرف، عالم الكتب – بيروت، ط1، 1419هـ، ج1، ص236.
4- حسان بن ثابت الأنصاري، ديوان حسان بن ثابت، شرحه وكتب هوامشه وقدم له، الأستاذ عبدأ علي مهنا، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط2، 1414هـ - 1994م، ص21.

عدّ هذا البيت من أجمل ما قيل في شعر المديح النبوي، لسيدنا حسان بن ثابت الذي يعدُّ من الشعراء المخضرمين الذين عاشوا قبل الإسلام وبعده، فهو شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم، نافح ودافع عن الدعوة الإسلامية وشهد له كبار الشعراء بالريادة في هذا المجال.

ومن أحسن ما مدحه به عبد الله بن رواحه الأنصاري رضي الله عنه قوله[1]:

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تنبيك بالخبر

هذا البيت عدَّ من أحسن ما مدح به النبي صلى الله عليه وسلم، لسيدنا عبد الله بن رواحه وهو من شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم، له قصائد جياد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم.

كما جاء أيضا في أحدى مدائح الشيخ الصابونابي[2]:

اِنْزَوَتِ المكَارِمْ فِي القَامَه الرَّبِيعَة حُسْنَ الذَّاتْ مُطَابِقْ لِحُسن الطَّبيعَة

وجاء في تفسير في ظلال القرءان في تفسيره لهذه الآية قوله: ومن ثم يستثني القرءان الكريم من ذلك الوصف العام للشعراء: «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ، وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً، وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ما ظُلِمُوا».. فهؤلاء ليسوا داخلين في ذلك الوصف العام. هؤلاء آمنوا فامتلأت قلوبهم بعقيدة، واستقامت حياتهم على منهج. وعملوا الصالحات فاتجهت طاقاتهم إلى العمل الخير الجميل، ولم يكتفوا بالتصورات والأحلام. وانتصروا من بعد ما ظلموا فكان لهم كفاح ينفثون فيه طاقتهم ليصلوا إلى نصرة الحق الذي اعتنقوه. ومن هؤلاء الشعراء الذين نافحوا عن العقيدة وصاحبها في أبان المعركة مع الشرك والمشركين على عهد رسول الله– صلّى الله عليه وسلّم– حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحه– رضي الله عنهم– من شعراء الأنصار، ومنهم عبد الله بن الزبعري، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وقد كانا يهجوان رسول الله– صلّى الله عليه وسلّم– في جاهليتهما، فلما أسلما حسن إسلامهما ومدحا رسول الله ونافحا عن الإسلام. وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله– صلّى الله عليه وسلّم– قال لحسان: «اهجهم– أو قال هاجهم– وجبريل معك»[3].. وعن عبد الرحمن بن كعب عن أبيه أنه قال للنبي– صلّى الله عليه وسلّم– إن الله عز وجل قد أنزل في الشعراء ما أنزل. فقال رسول الله– صلّى الله عليه وسلّم–: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل[4]». والصور التي يتحقق بها الشعر الإسلامي والفن الإسلامي كثيرة غير هذه الصورة التي وجدت وفق مقتضياتها. وحسب الشعر أو الفن أن ينبع من تصور إسلامي للحياة في أي جانب من جوانبها، ليكون شعرا أو فنا يرضاه الإسلام. وليس من الضروري أن يكون دفاعا ولا دفعا ولا أن يكون دعوة مباشرة للإسلام ولا تمجيدا له أو لأيام الإسلام ورجاله.. ليس من الضروري أن يكون في هذه الموضوعات ليكون شعرا إسلاميا. وإن نظرة إلى سريان الليل وتنفس الصبح، ممزوجة بشعور المسلم الذي يربط هذه المشاهد بالله في حسه لهي الشعر الإسلامي[5].

فموقف الإسلام من المديح مرتبط بالغاية من المديح وبصدقه، وليس بمبدأ المديح ذاته، ولذلك هجر الشعراء المسلمون من أغراض الشعر ومعانيه ما لا يتفق مع روح الإسلام وتعاليمه، وأبقوا على ما لا يتعارض مع الإسلام، وما يحث على الفضائل والعمل الصالح، ومن ذلك مدح الرسول الكريم وأصحابه. وجاء أيضا في تفسير الجلالين في تفسيره لهذه الآية الكريمة قوله:{إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات} مِنْ الشُّعَرَاء {وَذَكَرُوا اللَّه كَثِيرًا} لَمْ يَشْغَلهُمْ الشِّعْر عَنْ الذِّكْر {وَانْتَصَرُوا} بِهَجْوِهِمْ الْكُفَّار {مِنْ بَعْد مَا ظُلِمُوا} بِهَجْوِ الْكُفَّار لَهُمْ فِي جُمْلَة الْمُؤْمِنِينَ فَلَيْسُوا مَذْمُومِينَ قَالَ اللَّه تعالى: {لَا يُحِبّ اللَّه الْجَهْر بِالسُّوءِ مِنْ الْقَوْل إِلَّا مَنْ ظُلِمَ} وَقَالَ تعالى {فَمَنْ

1- السهيلي (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد)، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تح عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1421هـ/ 2000م، ج3، ص65.

2- عون محمد سالم، (مخطوطه) مختارات من مديح الشيخ الصابونابي، 2006م ص 11.

3 - صحيح البخاري، كتاب الأدب، حديث رقم (6223)، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة حديث رقم (6542).

4- رواه أحمد، مسند القبائل، حديث كعب بن مالك، ج45، ص 148، برقم (27175)

5- سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي، في ظلال القرآن، دار الشروق - بيروت- القاهرة، ط 17، 1412 هـ، ج1، ص9.

اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا} مِنْ الشُّعَرَاء وَغَيْرِهِمْ {أَيّ مُنْقَلَب} مَرْجِع {يَنْقَلِبُونَ} يَرْجِعُونَ بَعْد الْمَوْت = 27 سُورَة النَّمْل.[1]

وقد أبقى الإسلام على الكثير من القيم الجاهلية، ونمّاها، وأكسبها دلالات جديدة تغاير دلالاتها في الجاهلية، فلم تبق الشجاعة والاستبسال في القتال من أجل التباهي والتفاخر والسلب والنهب وإنما أصبحت من أجل رفع كلمة الله، والاستشهاد في سبيله. ولم يبق الكرم للتفاخر وإظهار المقدرة، وإنما أضحى لمساعدة الإخوة في الدين، وللتعبير عن التضامن الاجتماعي، وهكذا. فمديح النبي الكريم في حياته، كان حبا به وإعجابا بشمائله، ونصرة لرسالته، وإن أعطى الرسول صلّى الله عليه وسلّم على مدحه، فإنه استن سنة في أمته. وظلت دوافع المديح النبوي هذه عند الشعراء بعد أن انتقل إلى جوار ربه، وزادت على ذلك، إذا ابتغى الشعراء الأجر والثواب عند الله تعالى، وطلبوا المغفرة والرحمة، وأرادوا أن يقدموا لعصورهم المثل الأعلى للإنسان الكامل، ليقتدوا به، ويتبعوا سنته الغراء، ولإصلاح أوضاع خاطئة في مجتمعاتهم، فظلت دوافع مديحهم له تختلف عن دوافع المديح لسائر الخلق، وخلص لهم الصدق وحرارة العاطفة التي يؤججها الإيمان والحب، ولا يشوبها الرياء وطلب النوال، وقد نصّ على ذلك شعراء المديح النبوي، فقال البرعي[2]:

إذا مدح المدّاح أرباب عصرهم مدحت الذي من نوره الكون يبهج

وإن ذكروا ليلى ولبنى فإنّني بذكر الحبيب الطّيّب الذّكر ألهج

وقال أيضاً في قصيدته الهمزية [3]

أخلايَ مَنْ يُحصي مديحَ محمدٍ وفي مدحه كتُبٌ من الله تُقرأ

أعِدْ مدحَه إنّ القلوبَ تحبه بأمداحه تجلى إذا هي تصدأ

أتيت إلى مدحي عُلاه مُبادراً لعلي بغفران الذنوب أهَنّأ

وأكد شعراء المديح النبوي أنهم لا يطلبون من مديحهم إلا وجه الله تعالى، وأن مديحهم هذا قد رفعهم إلى مكانة سامية، فقال الطرائفي[4]:

مديح رسول الله أشرف مدحة إلّا أنّه الهادي الشّفيع المعظّم

وقال أيضا[5]:

علوت مقاما بامتداحي لسيّدي وعلّقت آمالي بتلك المطامع

يقول صاحب المجموعة النبهانية في فوائد المديح: "أعلم أن أعظم فوائد جمع مدائحه صلى الله عليه وسلم، إعانة محبيه على الحصول عليها والوصول إليها، إذ لا يتيسر ذلك لكل أحد ومن أجل فوائد كثرة قراءة مدائحه عليه الصلاة والسلام ثبوت أوصافه الجميلة الجليلة في نفس القاريء بحيث إنه إذا أكثر منها كالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وقراءة سيرته النبوية والإكثار من تكرار أخباره وأحاديثه ومعجزاته وفضائله وسائر أحواله الشريفة يغلب تصوره على قلب ذلك المشتغل بشؤونه الكريمة العظيمة بحيث يصير لا يذهب من خياله في ذهابه وإيابه وجلوسه وقيامه وشغله وفراغه حتى يصير يراه صلى الله عليه وسلم في منامه ببركة كثرة الاشتغال بشؤونه عليه الصلاة والسلام، وفي ذلك فضل عظيم لا يقدر على الحصول عليه كل من أراده، فإن كثيراً من الصلحاء فضلاً عن غيرهم تنقضى أعمارهم وهم يتمنون رؤياه عليه الصلاة والسلام مناماً فلا يقدر الله لهم ذلك، وقد ثبت في الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم من راني في المنام فكأنما رأني في اليقظة فان الشيطان لا يتمثل بي."[6]

1- جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، دار الحديث – القاهرة، ط1، ج1، ص494.
2- البرعي عبد الرحيم، شرح ديوان البرعي، تح عبد الرحمن محمد، المطبعة البهية المصرية، (1357هـ)، ص134.
3- البرعي عبد الرحيم، شرح ديوان البرعي المصدر السابق ص 35.
4- الطرائفي (جمال الدين عبدالكريم بن ضرغام) نفح الطيب في مدح الحبيب، ص 50.
5- المصدر نفسه: ص 51.
6- يوسف النبهاني، المجموعة النبهانية في المدائح النبوية، مرجع سابق، ص19.

ورد في كتاب (مختارات من أجمل الشعر في مدح الرسول) قوله عن المديح النبوي "كثيرون هم الذين مدحوا قديماً على ألسنة الشعراء، من ملوك وخلفاء وأمراء وحكام، حتى غدا المدح موضوعاً من أبرز موضوعات الشعر وأهمّ غرض من أغراضه. غير أن فن المديح في الشعر، ظل ملازما لآفتين اثنتين، لم ينفكّ الشعر بسببهما عن اضطراب وضعف. أولى الآفتين: الفجوة التي لا بدّ أن تظل قائمة تفصل بين طبيعة الشعر بحد ذاته، وواقع الممدوح أيا كان شأنه.. ذلك؛ لأن طبيعة الشعر هي الغلوّ والإفراط في كل ما يصفه ويعبّر عنه، وواقع الممدوح هو الاصطباغ بالنقص والضعف والأخطاء أيا كان، بحكم كونه إنسانا لا تنفك عنه سمة النقص والضعف. والشأن في ذلك أن يضعف من جدّية الشعر وتأثيره على النفس، ويفرغه من أكثر المضمون الذي يجمّله ويحببه. الآفة الثانية: أنّ الدافع للشعراء إلى المديح، يتمثل في عوامل من الأطماع والآمال الخارجية أكثر من أن يتمثل في مشاعر صادقة من المحبة الداخلية. وإذا فرغ الشعر من صدق الشعور عاد صنعة كلامية وزخرفا لفظيا. واقتصر طريقه إلى النفوس من هذه الزاوية وحدها، غير أن هاتين الآفتين لا يبدو لهما أي وجود، في الشعر الذي مدح به سيدنا محمد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. أيا كان الشاعر، وأيا كان واقعه وشأنه. ذلك؛ لأن الشعر الذي يمدح به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، يتحرك ويعلو في ساحة الوصف والبيان كما يشاء، دون أي غلوّ أو تكلف. ومهما أوغل الشاعر في الوصف وسما في المديح والإطراء، لا يحسّ أنه اصطدم بحدود، أو تجاوز الحقيقة إلى الخيال، أو بالغ في الثناء. إن الشعر يغدو، إذ يمدح به رسول الله، كالثوب الذي يأتي على قدر لابسه. لا تجد في شيء من ذيوله أو أطرافه أي زيادة أو فضول"[1].

يقول بروفيسر إبراهيم القرشي في حوار صحفي، عن أهمية المديح النبوي " أما المديح النبوي فإن إهماله عورة من عورات الثقافة عندنا، وعدم فهمه وعدم محاولة تفهمه نقص في محبتنا لرسولنا، وخلو مقررات المدارس والجامعات منه كما قرره بروفيسر عبدالله الطيب عليه الرحمة هو إخلال بمنهج دراسة الأدب وقد دفعتني إلى ساحته رغم قصور باعي أمور كثيرة، منها إهماله وهو من جواهر التراث، ثم صعوبة لغته فكانت رسالتي الأولى الإسهام في تيسيره وتفسيره بقدر المستطاع (فالنواية بتسند الزير والنملة بقرصتا) ثم استخراج كنوز السيرة منه فهو مستودع منظوم للسيرة النبوية ضم من مفرداتها مالا يتصوره إلا من وقف عليه. وهو سهم أهل الإسلام في مسيرة الدعوة إلى الله وقدحهم في مأدبة خدمتها في زمان كان الجهل فيه سائداً والأمية فاشية، وبه ومن طريقه عرفوا ربهم ووحدوه وعرفوا رسولهم وتفاصيل حياته ودقائق سيرته وجلائلها وعرفوا جهاده وجهاد أصحابه بأسلوبهم المألوف ولغتهم المحكية فأستوعبه العام والخاص، وازدادوا معرفة بربهم وامتلئوا محبة لرسوله وأصحابه وآل بيته.وما يزال في بعض المثقفين نفور منه وفي بعض النفوس الهزيلة ازدراء للمشتغلين به ورواته والمؤدين له وليس ذلك إلا بقية من ضعة وهوان وانهزام نفسي أو كما قال بروفيسر عبدالله الطيب معللا لهذا النفور بأنه (إما عن ضعف دين أو فرط تشدد فيه، وإما عن جهل تام بشيء اسمه المديح؛ ومن جهل شيئاً عاداه)"[2].

الخاتمة:

مشروعية النبوي ثابتة بالأدلة والبراهين التي وردت ولكن كثيراً من الناس غافلون عنها، وخاصة المثقفين ولكن نقول لهم إن عالية القوم من المثقفين الذين ورد ذكرهم قد عرفوا قدره وبينوا للناس مكانته من أمثال البروفيسور عبدالله الطيب العالم العلامة والأستاذ الطيب صالح والبروفيسور إبراهيم القرشي، فهذه دعوة صادقة نوجهها للمثقفين من أبناء هذه الأمة لكي يلتفتوا لهذا الأدب المتعلق بأشرف الخلق وأكرم البشر صلى الله عليه وسلم، لأن فيه متعة روحية ومدارسة للسيرة وبيان للشمائل المحمدية. يخلص البحث إلى أن مشروعية المديح النبوي ثابتة بالكتاب والسنة، فهو بحر واسع لا ساحل له، وأن قوافل المادحين عبر الأزمان لم تنقطع، وظلت قيم الحب والشوق للنبي صلى الله عليه وسلم متقدة في نفوس المسلمين يعبر عنها من حباهم الله بملكة الشعر من شعراء المديح النبوي، وامتدت هذه القوافل تترى، منذ بدايات الدعوة وحتى العصر الحديث، وكان لشعراء العصر الحديث نصيب وافر وسهم كبير في مجال

1- البوطي (محّمد سَعيد رَمضان)، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، دار الفكر – دمشق، ط 25، 1426 هـ، ج1، .ص5.
2- أ.د إبراهيم القرشي، جريدة الانتباهة، العدد3093، الثلاثاء 17 صفر 1436الموافق 9ديسمبر2014م ص9.

المديح النبوي، عبروا فيه عن حبهم وشوقهم وهيامهم لرسول الإنسانية ومعلم البشرية ومنقذها من غياهب الشرك والضلال عليه أفضل الصلاة والسلام.

النتائج والتوصيات:

1/ مشروعية المديح ثابتة بالكتاب والسنة قال تعالى: ﴿ *وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ*) سورة القلم(4)﴾. وقد مدح كعب بن زهير رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدته (بانت سعاد) فأثابه على مدحه ببردته الشريفة صلى الله عليه وسلم.

2/ المديح النبوي تميز بصدق المشاعر، ونبل الأحاسيس؛ لأنه نابع من محبة النبي صلى الله عليه وسلم، والتي هي من حب الله تعالى جل جلاله، ومن أوجب واجبات المسلم، وذلك باتباع سنته وهديه امتثالاً لقوله تعالى: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }آل عمران31

3/ إنشاد المديح النبوي والاستماع إليه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ومن صلى عليه مرة واحدة صلى الله عليه بها عشرا كما ورد في الحديث الشريف.

4/ المديح النبوي فيه تزكية للنفوس، والارتقاء بها لمدارج الكمال البشري لاشتماله على وصف لأخلاق النبي وشمائله وصفاته الكريمة صلى الله عليه وسلم.

5/ المديح النبوي كنز من كنوز الأمة لاحتوائه على النفائس من الصفات والخلق الكريم للنبي صلى الله عليه وسلم من كرم وجود وسماحة وشجاعة ونجده وحسن خلق.

6/ الاهتمام بدراسة المديح النبوي، وذلك لما له من أهمية كبيرة، بتوضيح وإظهار صفات وأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن ثم الإقتداء بها.

7/ الدعوة إلى الاستماع والترنم بالمديح النبوي، لاشتماله على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، والتي أمرنا بها بنص الآية الكريمة قال تعالى:{إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً }الأحزاب56.

المصادر والمراجع:

- القرءان الكريم.
- رواه أحمد، مسند القبائل، حديث كعب بن مالك، ج45، ص 148، برقم (27175).
- إبراهيم القرشي، جريدة الانتباهة، العدد3093، الثلاثاء 17 صفر 1436الموافق 9 ديسمبر2014م.
- الأبشيهي (شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور)، المستطرف في كل فن مستطرف، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1419هـ، ج1.
- البوطي (محّمد سَعيد رَمضان)، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، دار الفكر، دمشق، ط25، 1426هـ، ج1.
- أبو داود، أحاديث عبدالله بن عمرو بن العاص، ج4، ص28، برقم (2386).
- عبد الله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ط2، الكويت بالتعاون مع دار الآثار الإسلامية 1409هـ/1989م، ج4.
- جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي، تفسير الجلالين، دار الحديث، القاهرة، ج1.
- سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط 17، 1412هـ، ج1.
- الشبكة الليبرالية الحّرة < الأقسام الأدبيّة والثقافية والاجتماعية < منتدى الرواق الأدبي < المدائح النبوية... في العصر الحديث... https://libral.org/vb/archive/index.php/t-48617.html
- القاضي عياض (ابن موسى بن عياض اليحصبي) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، تح علي البجاوي، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1404هـ/1984م.

- القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين)، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، (1384هـ/1964م)، ج18.
- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي)، تفسير القرآن العظيم، تح، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط2، 1420هـ/1999م، ج6.
- الطرائفي (جمال الدين عبدالكريم بن ضرغام)، نفح الطيب في مدح الحبيب.
- عبد الرحيم البرعي، شرح ديوان البرعي، تح عبد الرحمن محمد، المطبعة البهية المصرية، (1357هـ).
- الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، عدد الأجزاء: 45 جزءا، الطبعة: (1404-1427هـ)، الأجزاء 1-23: الطبعة الثانية، دار السلاسل، الكويت، الأجزاء 24-38: الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة، مصر، ج36.
- يوسف النبهاني، المجموعة النبهانية في المدائح النبوية، ج1، دار الفكر، بيروت، 1330هـ.